القَصْدُ وَالنّيَّةُ ... وَأثَرُهُمَا فِي الْإِعْرَابِ وَالْمَعنَى

بحث ودراسة: د. إسماعيل مفتاح محمد الوحيشي
أستاذ في الدراسات اللغوية العربية / جامعة طرابلس

مُقَدّمَة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيّد الأوّلين والآخرين، النّبي الكريم مُحمّدٍ الصادق الأمين، وعلى أزواجه أمَّهات المؤمنين، وأصحابه الغُرّ الميَامِين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

وبَعـــــدُ ... فالقصدُ والنيّةُ والإرادةُ ألفاظ استعملها النحاة في شروحهم للنصوص والقواعد والأحكام؛ لذا اجتهدتُ في هذا البحث اللغويّ المعَنْوَنِ بـ"القَصْد والنّيَّة وأثَرُهُما في الإعْرَاب والمعنَى"؛ للوقوف على أثر نية المتكلم وقصده في تغيُّر بعض الأحكام النحوية ومعاني بعض الألفاظ والجُمَل وتركيبها في الكلام، ووضع الأساليب مراعاةً لهذا القصد وتلك النية، وتأثُّر النحاة بذلك في وضع القاعدة النحوية، فبدأتُ أوّلاً بتمهيدٍ بَيّنتُ فيه أن اللغات الإنسانية عامةً مرتبطةً بالقصد والنية ارتباطاً مُطلقاً لا تنفك عنهما، وأن اللغة العربية كغيرها من اللغات تأثرت بقصد المتكلم ونيته في تكوينها ووضع اللّبَنات الأولى لعلومها اللغوية، ثمّ افتتحتُ البحث بالوقوف على التعريف اللغويّ للقصد والنية عند اللغويّين، مُسْتَأنِساً بقول بعض علماء الأصول والحديث في تعريفهما، بعد ذلك تناولتُ أثر القصد والنية في اللغة العربية خاصةً؛ لأنها مجال البحث والدراسة، وكيف أن القصد والنية كان لهما أثر كبير في وضع بعض الأحكام والقواعد النحوية، وأن هذا الحكم والمعنى يتغيران بتغيُّر قصد المتكلم ونيته، ثمّ حاولتُ الوقوف على ارتباط بعض الظواهر اللغوية وتأثرها بالقصد والنية، فتحدثتُ عن ظاهرة الحذف في اللغة العربية، مُبيّناً من خلال بعض النصوص والشواهد أثر القصد والنية في هذه الظاهرة، وأخيراً وقفتُ على أثر النية والقصد في توجيه وتخريج النحويين لبعض الشواهد اللغوية، سارداً بعض الشواهد التي خرّجها النحاة ووجّهُوها مُعتمدين في ذلك على نية المتكلم وقصده، ثم ختمتُ البحث بخلاصةٍ ضمّنتُها ما توصلتُ إليه من نتائج وتوصيات ترتبط بهذه الدراسة، على أملٍ أن أكون قد وُفّقتُ في بيانه وإخراجه في أفضل صورة وأيسر أسلوب، سائلاً الله العليّ العظيم أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به مُحبّي العربية وطلابها.

وصلّى الله وسلّم على خير المرسلين وعلى آله وأزواجه وأصحابه إلى يوم الدين.

تمهيد

لا يخفَى على أحدٍ أن اللغات الإنسانية – المكتوبة والملفوظة على حد سواء – مهما كان نَوْعُها وقَوْمُها ما هي إلا كلماتٌ وجُمَلٌ تَنشأ بنيةٍ وقصدٍ من المتكلم، يستعينُ بها للتواصل مع غيره ومُخاطَبتهم في شؤون الحياة المختلفَة، فهي أكثر وسائل التواصل استعمالاً بين البشر؛ لذلك فهي ترتبط بنية المتكلم وقصده ارتباطاً وثيقاً في كل موضع وجملة منها، وفي كل تركيب وأسلوب، ولكونها وَسيلةَ التواصل الأولى بين بني الإنسان فلا يُمكن بأي شكلٍ من الأشكال أن نَتصوَّر مُتحدّثاً يتكلم مع غيره أو يُخاطبه أو يُدوّنَ كتاباته دون وجود قصدٍ منه أو نيةٍ سابقة عنده، فلا يَستقيم عَقلاً ولا نَقلاً أن يتحدث أحدٌ في موضوع ما دون وجود قصدٍ أو نيةٍ لديه من حديثه وكلامه، وإلا أصبح ذلك ضَرباً من الجنون، فمجيءُ الفاعل مرفوعاً – مثلاً – والمفعول منصوباً والمضاف مجروراً في اللغة العربية لا يتأتّى ذلك إلا بقصدٍ من المتكلم ووجود نيةٍ عنده في ذكرها كذلك؛ لذلك اشترط النحاة العرب في الكلام عند تعريفهم له أن يكون مقصوداً، وإن لم يكن مقصوداً فلا يُعدّ ذلك عندهم كلاماً، قال ابن مالك: ((والكلامُ ما تَضَمّن من الكَلِم إسناداً مُفيداً مَقصُوداً لذاته.))[1]، وقال ابن هشام: ((الكَلام هُو القَول المفِيد بالقَصْدِ، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنىً يَحسُن السُّكُوت عليهِ.))[2]؛ لذلك رفض جمهور النحويين عَدَّ حديث المجنون والساهي والنائم والمخمور كلاماً؛ لأنه لم يكن منهم بقصدٍ ونية، قال الكفوي: ((ويُشْتَرَط القَصد في الكلام عند سيبويه والجمهُور، فلا يُسمّى ما نطق به النّائم والساهي وما تحكيه الحيَوانَات المعَلَّمَة كلاماً.))[3].

ويُعدّ هذا الارتباط بين اللغة العربية وبين القصد والنية ارتباطاً عامّاً يكون في كل كلمة وكل جملةٍ يستخدمها المتكلم للإفصاح عما يَنوي بيانه، إلا أن هناك جُمَلاً وكلمات وأساليب تتأثر إعراباً أو معنىً – أو إعراباً ومعنىً معاً – حسب نية المتكلم وقصده، فتكون تارة مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة، وتكون مُنوّنة أو غير مُنوّنة، أو مُقدَّمة أو مُؤخَّرة، أو مَحذُوفة أو مَذكُورة، أو عاملة أو مَعمُولة، تتغيّر تغيرات عدة بتغيُّر نية المتكلم وقصده.

---

1. شرح التسهيل، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجَيّاني، أبو عبد الله جمال الدين، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1410هـ – 1990م، 5/1.
2. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد جمال الدين، ابن هشام، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط6، 1985م، ص490.
3. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر.

وبما أن اللغة العربية هي إحدى اللغات الإنسانية التي ترتبط بالقصد والنية؛ لذلك سأقف في هذا البحث لبيان هذا الارتباط وأثره في مواضع الألفاظ ووضع القواعد والأحكام النحوية وتكوين الجُمَل والأساليب وتغيُّرها نتيجة هذا التأثر، فتأثير القصد والنية في اللغة العربية هو ما يدور هذا البحث في فَلكِهِ لبيانه والوقوف عليه.

مسائل البحث:

أولاً: القَصْدُ والنّيَّةُ في المَعاجم اللُّغوية.

ثانياً: أَثَرُ القَصْدِ والنّيَّة في اللُّغَة العَرَبيَّة.

ثالثاً: أَثَرُ القَصْدِ والنّيَّة فِي وَضْعِ بَعضِ الأحْكَامِ النَّحْوِيّة.

رابعاً: اخْتِلافُ الحُكْمِ باخْتِلافِ القَصْدِ والنّيَّة.

خامساً: ارْتِبَاطُ القَصْدِ والنّيَّةِ بِبَعضِ الظَّواهِرِ اللُّغَويَّة.

سادساً: ظَاهِرةُ الحَذْفِ وارْتِبَاطُهَا بِقَصْدِ المُتكَلّمِ ونِيّتِهِ.

سابعاً: أَثَرُ النّيَّة والْقَصْد فِي تَوْجِيهِ وَتَخْرِيجِ بَعْضِ الشَّواهِد عِندَ النُّحَاة.

الخلاصة

خلاصة القول في هذا البحث أن القصد والنية لهما أثر كبير في الكلام وتركيب الجمل ووضع الأساليب والقواعد والأحكام النحوية، فقد رأينا من خلاله كيف أن اللغة ترتبط بالقصد والنية ارتباطاً وثيقاً، سواء كانت اللغة مكتوبة أو ملفوظة، وأن هذا الارتباط يكون عاماً في كل جملة أو تركيب يستخدمه المتكلم، فلا يُعقل أن يتكلم المتكلم بحديث ما دون وجود نية عنده أو قصد لمخاطبة المخاطب بهذا الحديث، كما اتضح وتبين لنا من خلال العَرض أن اللغة العربية تتأثر تأثراً كبيراً بالقصد والنية؛ كونها لغة ذات حركات وسكنات، وتقديم

وتأخير، فتتغير الحركات والعلامات والمواضع بتغير القصد والنية عند المتكلم، كما كان للقصد والنية الأثر الواضح في نشأة علم النحو منذ بدايته، وفي وضع بعض الأحكام النحوية وتقعيد القواعد عند النحويين، وهو ما تفطن له النحاة مبكراً منذ القرون الأولى لعلم النحو، وقد يتغير هذا الحكم ويختلف بين لفظ وآخر في الجملة ذاتها، وفي الأسلوب والتركيب نفسه، بتغير قصد المتكلم ونيته، بل إن المتكلم قد يستعمل اللفظ في الكلام على الإطلاق؛ ليحتمل كل ما يمكنه الدلالة عليه من المعاني، كما اتضح لنا ارتباط القصد والنية ببعض الظواهر اللغوية كظاهرة الحذف؛ إذ كان للقصد والنية دور كبير في استعمال هذه الظاهرة في الجملة العربية، وأخيراً وقفنا في هذا المبحث على أثر النية والقصد في توجيه وتخريج بعض الشواهد النحوية التي ذكرها النحويون عند وضع الأحكام النحوية وصياغة القاعدة لها، واتضح من خلال ذلك أن الشاهد لا يمكن فهمه أو توجيهه إلا بعد الوصول إلى فهم نية المتكلم والقصد الذي يريده من التركيب، وأن النية والقصد عند المتكلم هي مما يُعوَّل عليه في توجيه الشاهد وتخريجه على الوجه الصحيح والفصيح.

وأخيراً ما أود الإشارة إليه فإن هذا المبحث واسع المجال كثير المعلومات والمواضع، ودراسته تحتاج إلى مجلدات كثيرة وسنوات طويلة، لذا فإنني ومن خلال هذه الورقات أدعو أصحاب الشأن وروّاد العربية في ركوب أمواجه والإبحار فيه بكل ما أوتوا من علوم للوقوف على جميع مواضعه وطرائقه وأحكامه، والوصول به إلى شاطئ المعرفة والتبيان؛ والله ولي التوفيق.